دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: الحمامات التراثية عبر العصور
المصدر: المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
الناشر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
المؤلف الرئيسي: حسين، سيماء عطا الله
المجلد/العدد: ع6
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 2018
الشهر: نوفمبر
الصفحات: 53 - 79
رقم MD: 1099374
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
اللغة: Arabic
قواعد المعلومات: EduSearch, HumanIndex
مواضيع: التراث المعماري، الآثار العراقية، الحضارة الإسلامية
رابط: http://search.mandumah.com/Record/1099374

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

International Journal on
Humanities and Social Sciences
ISSN: 2415 – 4822 www.ijohss.com

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
العدد السادس نوفمبر 2018

الحمامات التراثية عبر العصور

المدرس الدكتورة
سيماء عطا الله حسين
كلية الاثار – جامعة الكوفة
كربلاء –العراق

ملخص البحث

إن حضارة وادي الرافدين العريقة والغزيرة بآثارها الشاخصة وغير الشاخصة والتي تتمثل بالتحف المنقولة والصروح والأبنية غير المنقولة لها أثرها البالغ في هذه الحضارة وتعد العمارة التراثية آخر الحلقات في سلسلة تطور هذه الحضارة العظيمة والحمامات التراثية إحدى الوجوه البارزة من هذه الحضارة وتناولت في بحثي الحمامات التراثية حمامات مدينة كربلاء المقدسة انموذجا، وقمت بتقسيم البحث إلى فصل واحد تضمن ثلاثة مباحث وتناولت في المبحث الأول الحمام لغة واصطلاحا ومواصفات الحمام وفي المبحث الثاني أولى الحمامات الإسلامية وثم الحمام في البيوت التراثية وفي المبحث الثالث كانت هناك وقفة على حمامات مدينة كربلاء المقدسة ووصف الحمامات وتطرقت أيضا إلى الحمامات الشعبية والعاملون في الحمام وما يستخدم في الحمام وكانت هناك وقفة على حمامات النساء وكيفية إشعال الحمام ثم الخاتمة وعززت بحثي بمجموعة من الصور والأشكال لزيادة الفائدة العلمية.

وان الحمامات تشكل مرفقا حيويا من بين المرافق الأكثر أهمية في المدينة العربية الإسلامية منذ بداية العصر الإسلامي فبات وجودها في كافة الأزمنة من المكملات الأساسية في رسم نسيج المدينة أو جزءا أساسا من تخطيطها ، وان الحمامات من المؤسسات الخدمية التي لها علاقة مباشرة بحياة الفرد والمجتمع ومن ثم يكون لها دور حضاري متميز ولما كان من مبادئ الإسلام الطهارة والنظافة لذلك كان ظهور هذه المؤسسة الخدمية التي تسمى حمام من الضروريات في المجتمع الإسلامي وان الحمامات تشترك فيما بينها بجملة خصائص منها الخصوصية في التخطيط فهي تعتمد على النظام الثلاثي (القاعة الباردة ،الدافئة ،الساخنة) وتميزت واجهاتها الداخلية والخارجية بالبساطة وخلوها من أي ضرب من ضروب الزخرفة إذا كان لهذا المعلم العمراني أهمية كبيرة في المجتمع لارتباطه براحة الفرد ونظافته وطهارته.

Heritage Baths throughout the Eras

Dr. Seemaa Attallah Hussein
Faculty of Archaeology
University of Kufa
Karbala - Iraq

ABSTRACT

The civilization of Mesopotamia, ancient and heavy effects pillar and pillar and whose antiques immovable monuments and buildings immovable an impact of this civilization is the architecture heritage last in the series of the evolution of this great civilization heritage and bathrooms one of the prominent figures of this civilization and dealt with in a research baths heritage history and origins and planning and the bathroom in The holy city of Karbala Form .in a research baths heritage in the city Karbala and you divide the search to a single chapter included three topics dealt with in section one bathroom language and idiomatically and specifications of the bathroom and in the second part, the first Islamic bathrooms and then the bathroom at heritage houses in the third section, there was a pause on the pools holy city of Karbala and description bathrooms also touched upon the popular baths and workers in the bathroom and what is used in the bathroom and there was a pause on the pools of women and how to ignite the bathroom and then the conclusion reinforced a research group of images and shapes to increase scientific interest.

Bathrooms are a vital facility is among the most important in the Arab and Islamic city since the beginning of the Islamic era facilities shreds presence at all times of the basic supplements in shaping the fabric of the city or essentially part of the planning, and that the bathrooms of service organizations that are directly related to the life of the individual and society and then have her role civilized privileged because of the principles of Islam purity and cleanliness so it was the emergence of these service organization called bath necessities in the Muslim community and bathrooms shared between them, inter features including privacy in the planning, they rely on the tripartite system (cold room, warm, hot) and characterized internal and external façades are simple and free of any figment of decoration If this urban teacher of great importance in the community for its association with the comfort of the individual and the cleanliness and purity.

المقدمة

إن حضارة وادي الرافدين العريقة والغزيرة بآثارها الشاخصة وغير الشاخصة والتي تتمثل بالتحف المنقولة والصروح والأبنية غير المنقولة لها أثرها البالغ في هذه الحضارة وتعد العمارة التراثية آخر الحلقات في سلسلة تطور هذه الحضارة العظيمة والحمامات التراثية إحدى الوجوه البارزة من هذه الحضارة وتناولت في بحثي الحمامات التراثية حمامات مدينة كربلاء المقدسة (انموذجا) وقمت بتقسيم البحث إلى فصل واحد تضمن ثلاثة مباحث وتناولت في المبحث الأول الحمام لغة واصطلاحا ومواصفات الحمام وفي المبحث الثاني أولى الحمامات الإسلامية وثم الحمام في البيوت التراثية وفي المبحث الثالث كانت هناك وقفة على حمامات مدينة كربلاء المقدسة ووصف الحمامات وتطرقت أيضا إلى الحمامات الشعبية والعاملون في الحمام وما يستخدم في الحمام وكانت هناك وقفة على حمامات النساء وكيفية إشعال الحمام ثم الخاتمة وعززت بحثي بمجموعة من الصور والأشكال لزيادة الفائدة العلمية.

الفصل الأول

المبحث الأول

اولا / الحمام لغة واصطلاحا

هناك الكثير من التفسيرات لأصل كلمة (حمام) في المعاجم اللغوية فنجد الرازي [1] يعود بالكلمة الى (الحمّة) بفتح الحاء وهي العين الحارة التي يستشفي بها المرضى ، ويرجعها البعض الاخر الى كلمة (الحميم) والتي تعني الماء الحار ، فنقول حمّ الماء اي سخنه ، واستحم اي اغتسل بالحميم ، هذا هو الاصل ثم صار كل اغتسال استحماما بأي ماء كان سواء كان باردا او ساخنا كما سمي حماما كل مسبب للعرق [2] كما يجمع اللغويين العرب على إن كلمة حمام وجمعها حمامات ، تعني الموضع المعد للاغتسال [3] ويسمى صاحب الحمام أو العامل فيه ب(الحمامي) [4] والحمامات بمعناها الاصطلاحي هي المباني القائمة برأسها تتصل بالطريق والسوق.

وفي العادة يتألف الحمام من بضع حجرات كبيرة تحيط بها حجرات أخرى صغيرة تعلوها في معظم الأحيان قباب وتتخلل بعض هذه القباب ثقوب ينفذ منها الضوء من خلال مناور صغيرة مغطاة بقطع من الزجاج [5] الملون كي يضفي على الداخل رونقا وبهاء يبعث في الوقت نفسه السرور والانشراح في نفوس المستحمين نتيجة لحركة الظلال وانعكاس ضوء الشمس .[6]

والحمامات من جهة أخرى اختلفت فنونها ونمط بناء كل حمام من حيث الزخرفة والمواد المستخدمة وطريقة بنائه والمساحة التي بني عليها إلا أن غالبيتها, تتألف من ثلاث دوائر أساسية هي : البراني والوسطاني والجواني, والبعض القليل منها كان مكوناً من دائرتين : البراني والجواني ، و كان يدخل إلى الدائرة الخارجية منها (البراني) من باب الشارع أو الحارة، وعلى جانبي المدخل توجد غرفتان صغيرتان تليهما مصطبتان أو أكثر مرتفعتان عن أرضية البراني بمقدار يصعد إليهما بدرج خاص فيخلع عليهما المغتسلون ثيابهم ويقدم لهم ما يلزم من البشاكير

---

[1] الرازي ، محمد بن ابي بكر : مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، بيروت ، 1995، ص66.
[2] ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين: لسان العرب ، بيروت ، 1956م ، مجلد 12، ص153.
[3] الرازي ، محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح ، الكويت ، دار الرسالة، 1982م ، ص157.
[4] الجوهري ، أبو منصور إسماعيل بن حماد : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، القاهرة ، 1956م ، ج5، ص1907.
[5] الشناوي ، احمد وآخرون : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الحمام ، مترجم ، م8، ص68.
[6] محمد ،غازي رجب : الحمامات في العصر الإسلامي "نظرة خاصة إلى حمامات اليمن " ندوة الحمامات في المدينة المنورة الإسلامية ، مركز إحياء التراث ،1990، ص331.

والمناشف وما شاكل ذلك للرجال، أما النساء فكن يجلبن الاحتياجات الخاصة بالغسل من بيوتهن، وكانت مصاطب الحمام مكسوة بالسجاد والبسط، وفي داخلها نافورة ماء تطوقها من جهاتها الثلاث مصاطب صغيرة أو مقاعد لجلوس المستحمين عليها، وفي وسط المصاطب الكبيرة توجد بركة ماء كبيرة توجد بها فسقية ونافورة وغالباً ما تكون مزينة بتماثيل من الأسود الحجرية التي تخرج من أفواهها المياه لتصب في البركة كما في حمام نور الدين الزنكي في البزورية في سوريا ، ولتأمين الإضاءة للحمام نهاراً توجد به شبابك علوية، أما الدائرة الثانية فتتكون من الوسطاني والجواني، وهي خاصة بالاستحمام وبها منافع (دورات مياه) ويوجد في كل منها أجران, وهذه الأجران من الرخام أو الحجارة تنصب فيها المياه من فتحتين أنبوبين, الأول حار والثاني بارد تتحكم فيه قطعتان من الخشب، أما جدار البناء وأرضيته فغالباً من الرخام والسقف من حجارة القعد أو على شكل قباب بها فتحات توضع عليها قطع زجاجية للإضاءة كما مر بنا ويطلق على هذه القطع اسم القماري.[7]

ثانيا/ بدايات ظهور الحمامات في الدولة العربية الاسلامية

الحمامات في العصر السابق للإسلام :

تعود بدايات ظهور الحمام في العصور السابقة للإسلام الى الفراعنة في مصر [8] وهناك اشارات اخرى الى ان النبي سليمان (عليه السلام) هو اول من صنع الحمام وبمساعدة الجن [9]، كما ان انشاء الحمامات تعود الى العصر الروماني في القرن الثاني قبل الميلاد وكانت الفكرة في انشائها بسيطة وهي تقوم على مجموعة من الاحواض الصغيرة التي تحتوي على الماء البارد والساخن وبعض دهانات المساج وبعض التدليك ، وكانت مفتوحة امام العامة صغارا وكبارا دون مقابل ، وتواجدت حمامات خاصة بالأباطرة مثل نيرون ودقلديانوس وغيرهم ، اتسمت بضخامتها اذ ضمت داخلها على مكتبات وملاعب وحدائق ، فكانت بذلك تقوم بدور ترفيهي استجمامي الى جانب دورها في عملية الاغتسال .[10]

اما الحمامات التي ظهرت في العصر الاسلامي :

كان اول ظهور للحمامات في الفسطاط في مصر وكانت في عهد عمرو بن العاص وهو يعتبر اول حمام عمومي ايضا [11]، اما في العصر الفاطمي فيذكر المقريزي أن الخليفة العزيز بالله هو أوّل من بنى الحمامات بها (أي بمصر)، وازدادت ازدهارا وانتشارا بشكل خاص في العهد العثماني، ومن الحمامات المصرية التي لا تزال قائمة نذكر حمام الملاطيلي الواقع في حي باب الشعرية والذي يزيد تاريخ تشييده عن الخمسمائة وثمانين عاما، وحمام قلاوون وحمام السلطان أينال وحمام باب البحر، و باتساع رقعة الدولة الإسلامية وازدياد عدد المسلمين، ازدادت أعداد هذه الحمامات بشكل مذهل، فلقد اشتهرت بلاد الأندلس المفقود بحماماتها الكثيرة وخاصة مدينة قرطبة، التي تجاوز عدد الحمامات بها التسعمائة[12] ، فكانت ملازمة لدور العبادة ، وتقترن دوما بكلمة المسجد.[13]

اما بالنسبة لبلاد الشام، التي يقول عنها ابن بطوطة حين زيارته لها : "وأكثر قرى دمشق فيها الحمامات والمساجد الجامعة" [14]، وينطبق الأمر ذاته على فلسطين ولبنان، إذ نجد نفس هذا الرحالة ينبهر بما رآه بهما من حمامات

---

[7] نعيسة ، يوسف جميل: مجتمع مدينة دمشق، دار طلاس, دمشق, 1986، ج1، ص 122-129.

[8] الجوزي ، ابي الفرج جمال الدين : المدهش ، تحقيق مروان قباني ، ط2، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، 1985، ص52.

[9] القلقشندي ، احمد بن علي : صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تحقيق يوسف علي ، ط1، دار الفكر ، سوريا، دمشق ،1987، ج1، ص485.

[10] المصدر نفسه ، 458.

[11] ابن كثير ، ابو الفدا اسماعيل بن عمر : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، لبنان ، بيروت ،ج7،ص100.

[12] المقريزي ، احمد بن محمد التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، لبنان، بيروت ،1968،ج2، ص353.

[13] المقريزي، المصدر نفسه، ص335.

[14] ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله: تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ط4، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت ، 1405هـ، ج1،ص117.

حسان كحمام القاضي القرمي بطرابلس ، وحمام سمندور نسبة الى أمير هذه المدينة [15] ، أما ابن جبير فيذكر أنه كان بدمشق عند زيارته لها سنة (580هـ/1185م) ما يقارب المائة حمام ونحو أربعين دارا للوضوء يجري بها الماء [16]، ومن أشهر هذه الحمامات حمام نور الدين في محلة البزورية الذي أنشئ في عهد نور الدين بن زنكي، الذي لايزال متواجدا، وقد رمّم وأصبح من المعالم السياحية السورية، هذا الى جانب حمام التّوريزي الذي يعود بناؤه الى العهد المملوكي، أمّا ما يعود منها الى العهد العثماني، فنجد حمام فتحي وحمام الرّفاعي، كما لم تغب هذه الحمامات عن مدينة حلب إذ انتشرت في معظم أحيائها، حتى بلغ عددها حسب بعض المؤرخين المائة وسبعة وسبعين حماما ، ومن أشهر تلك الحمامات، حمام يلبغا الناصري الذي يعود بناؤه الى بداية العصر المملوكي في حلب في منتصف القرن الثامن الهجري، الذي أهمل منذ مجيء المغول حتى نيابة الأمير المملوكي سيف الدين يلبغا الناصري الذي قام بترميمه حوالي سنة 1417م ،فحمل اسمه منذ ذلك الوقت، ثم أعيدت عملية ترميمه سنة 1960م.[17]

اما اليمن فيمكن أن نعتبر الحمامات الشعبية أحد أبرز معالمها، وخاصة بمدينة صنعاء القديمة ، حتى أنها أصبحت جزءا من طابعها الاجتماعي وتقاليد المنطقة التاريخية، اذ يعتبرها سكان المنطقة فضاء صحّيا للاسترخاء وتجديد النشاط والحيوية، ويعود إنشاء هذه الحمامات باليمن حسب الكثير من الاكتشافات، الى الدولة السبئية في الألف الأولى قبل الميلاد، لكن أكثرها تم تشييده في العهد العثماني الأول بالمنطقة، ولهذا أخذت اسم الحمامات التركية، ومن أشهر هذه الحمامات حمام الحميري وحمام الأبهر وحمام الجلاء وحمام القزالي وحمام القرعة وحمام سبأ وغيرها.[18]

أما في بلاد المغرب الإسلامي فظهرت الكثير من الحمامات التي تأثرت في بناءها وشكلها بالطراز الأندلسي، ففي المغرب الأوسط وتحديدا بعاصمة الدولة الزيانية (تلمسان) ، نجد أحياء المدينة ودروبها تزخر بالحمامات الأنيقة، التي كانت تلحق بالبناءات الاجتماعية والدينية بما في ذلك بيوت الله[19]، والتي كان العاهل أبو تاشفين أكثر المهتمين ببنائها[20]، ومن تلك الحمامات (حمّام العالية) الذي يقع بالقرب من باب الحديد، والذي يوصف بأنه أحسن وأنظف حمامات المدينة، وبذلك أكتسب شهرة فائقة ، فقل أن تجد له نظيرا في تلك الفترة[21]

أما حمّام الصبّاغين و الذي كان الشّيخ أحمد بن الحسن الغماري كثير التردد عليه، فيعد من أقدم حمامات تلمسان، ويقع بالزقاق الرابط بين شارع معسكر وخلدون، ويعود سبب هذه التسمية الى وقوعه بجوار سوق الصباغين بذلك الحي، ولا يزال موجودا الى اليوم ، كما نجد حمام الطّبول الذي ورد اسمه في وثيقة الأوقات التي أصدرها أبو حمو موسى الثاني والخاصة بالمدرسة اليعقوبية ،وحمام سيدي بومدين بالعباد والذي لا يزال يقوم بوظيفته الى يومنا هذا ، فكان لكل حي حمام خاص به تقريبا، كما وجدت حمامات خاصة في منازل الأغنياء وفي قصور السلاطين والأمراء والوزراء[22] تجنبا لمخالطة العوام بهذه الحمامات.

وبمدينة فاس المغربية وجدت أيضا الكثير من الحمامات والتي كانت أوفر ماء من نظيرتها في المغرب الأوسط ، وتعود بداية بنائها الى عهد يحيى بن محمد بن إدريس في النصف الأول من القرن الثالث الهجري الذي أمر ببناء الحمامات والفنادق للتجار، ثم ازدادت عددا في عهد المرابطين وتحديدا في عهد يوسف ابن تاشفين مؤسس دولة المرابطين، إذ بدخوله مدينة فاس، أمر بهدم الأسوار التي كانت فاصلة بين المدينتين عدوة القرويين وعدوة الأندلس

---

[15] المصدر نفسه ، ص84.
[16] ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي: رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني ، لبنان، بيروت ، ص202.
[17] الأصفهاني ، عماد الدين: البرق الشامي ، تحقيق فالح حسين، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان ، الأردن، عمان ،1987، ج3، ص153.
[18] محمود ، عادل : جريدة الشرق الأوسط، ، 2008/2/9،العدد9935.
[19] عطا الله ، دهينة : الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص364.
[20] الطمار ، محمد بن عمرو: تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1984 ، ص218.
[21] الفيلالي، عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر، الرغاية ، ج1، ص140.
[22] الفيلالي ،المصدر السابق ، ص140 .

وصيرهما مصرا واحدا، حصّنهما وأمر ببناء المساجد في شوارعها وأزقتها، وأي زقاق لم يجد فيه مسجدا عاقب أهله، وأمر ببناء الحمامات والأرحاء فكان إنشاء الحمامات من أولويات هذا الأمير إذ ارتبطت ارتباط وثيق ببيوت العبادة لان الدولة المرابطية، كانت دولة دينية وبالتالي فالطهارة هي إحدى أهم أسس الدين الإسلامي الذي قامت عليه.[23]

نفس الشيء يمكن قوله بالنسبة لبلاد الأندلس، فقد ارتبطت الحمامات فيها بدور العبادة، فنجد المقريزي يذكر من حين لآخر ما كانت تزخر به مدن الأندلس بها كالمرية التي كان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف، ناهيك عن ما كانت تحتويه أرباضها هي الأخرى من فنادق وحمامات وخنادق وصناعات، مستغلة في ذلك الأنهار المتصلة والدائمة الجريان كربض الوحض.[24]

ثالثا / دور الحمامات في المجتمعات العربية والإسلامية

لعبت الحمامات بأنواعها المختلفة دورا هاما في حياة الشعوب منذ آلاف السنين، حيث كانت وسيلة هامة للنظافة وتخفيف آلام الجسم والبحث عن الجمال أيضا، فالفراعنة استعملوا حمامات الطمي، وواروا أجسامهم في الرمال الساخنة، كما عرفوا فوائد الحمامات البخارية وطرق العلاج المائي، فكانت لهم في ذلك طقوس خاصة بهم، ولا تزال بعض آثارهم من تلك الحمّامات قائمة الى غاية اليوم، كحمام كيلوباترا بمحافظة قنا، وحمام فرعون بصحراء سيناء.

أما فيما بعد وبانتشار هذه الحمامات وازدياد أعدادها، أصبحت فائدتها لا تخفى على أحد، فنجد صديق بن حسن القنوجي، الذي عاش في القرن الثالث عشر الهجري يقول: (والحمّام وضع صناعي مركب الكيفية للتدبير والاستفراغ في الداخل والخارج معا، وغايته جلب المنافع للبدن ودفع المضار عنه باعتبار حالة عناصر ذلك البدن، فيتبعها صحة أو فساد، والحاجة باعثة الى اتخاذه) [25] أي أن الاستحمام قد يساعد على التخلص من بعض الأمراض وقد يؤدي في نفس الوقت الى مضاعفتها أو الى عكس النتائج المرجوة منه وذلك حسب طبيعة المرض، ومن الأمراض التي تناقل الناس شفاءها بواسطة الحمامات الشعبية الأمراض الجلدية وأمراض العظام والمفاصل، رغم إنكار بعض الأطباء المعاصرين لهذا الاتجاه باعتبار أن سكون الألم يكون مؤقتا، وأن مياه هذه الحمامات ليست معدنية ولا تحتوي على كبريت قد يساعد على تسريع عملية الشفاء منها، كما أشار القدماء الى ما تعطيه هذه الحمامات من نشاط لجسم الإنسان، أي أنه بقدر ما يؤدي التعب والإجهاد الى تناقص نشاط الجسم ، فان الحمام يعمل على إعادته[26]، ويرى الكثيرون وخاصة في الوسط النّسوي أن هذه الحمامات تعيد لهن نضارتهن وحيويتهن، ولذا كنّ أكثر المترددات عليها، ويرى البعض بأن دخول الحمام يعد رياضة فاضلة ومهنة نافعة لتفتيحه المسام وتلطيفه إذا استعمل بالترتيب الذي ينبغي.[27]

ومع ذلك فهناك بعض الأضرار الناجمة عن هذه الحمامات، حيث ان تغير درجة حرارة هواء الحمام بين ما يلائم رئتي المستحمّ، و الهواء اللازم للدورة الدموية، فيؤدي ذلك الى وفاته، [28]

وهناك من الأطباء المسلمين الذين نهوا عن دخول الحمام بشكل نهائي باعتبار ذلك معفّنا للأجسام ومفسدا للأمزجة [29]، والى جانب دور الاستشفاء الذي تقوم به الحمامات، فقد ارتبطت ظاهرة الاستحمام أيما ارتباط بالمدنية وتطور العمران وتوسعه، فأصبحت بذلك مظهرا من مظاهر الترف والتنعم المقتصر على فئة معينة من الناس، وهم

---

[23] الناصري ، ابو العباس احمد : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،ط1، دار الكتاب، المغرب، الدار البيضاء ،1997، ص231.

[24] المقريزي ، المصدر السابق ، ص163.

[25] القنوجي ، صديق : أبجد العلوم،ج2 ، ص257.

[26] المصدر نفسه ، ص155.

[27] احمد ، ابي العباس :عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، ، بدون تاريخ، ص517.

[28] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص36.

[29] احمد ، ابي العباس ، المصدر السابق ، ص517.

الأغنياء، ولذا تواجدت تلك الحمامات بكبريات المدن، وقلما تواجدت بالقرى والمدن المتوسطة وان حدث، فيكون قد تكفّل بـها وبإنشائها بعض الملوك والرؤساء، لكنها سرعان ما كانت تهجر لعدم تلاؤمها مع مزاج أهل تلك القرى لقلة فائدتهم ومعاشهم منها [30]، وهذا ما نجده انعكس تماما اليوم إذ أن أغلب من يرتاد هذه الحمامات هم الفقراء أو الطبقة المتوسطة وعامة الناس.

أما عند المسلمين القدامى فقد ارتبط اسم الحمامات بالطهارة ، فكانت تغص بالناس أيام الأعياد، التي كانت أكثر أيام السنة إقبالا عليها، ولذلك فقد خضعت للرقابة الشديدة من المحتسب أو صاحب الشرطة، ضمانا لنظافتها وإتباع القواعد الصحية بها واحتراما للآداب العامة والقواعد الأخلاقية ككشف العورات أمام الآخرين أوكل من يتسبب في إزعاج الآخرين وإلحاق الضرر بهم كالدباغين خشية انتشار الرائحة الكريهة أو ذوي الأمراض المعدية كالبرص والجذام. ووجدت ببعض المناطق العربية بعض العيون الحارة التي يخرج مع مياهها القار فيقصده سكانها للاستحمام قصد التخلص من البثور وغيرها من الأدواء، ومن أمثلتها عين القار بالقرب من الموصل والتي تصب في نهر دجلة بالعراق.[31]

والى جانب دور الاغتسال والتطهر والترفيه عن النفس، فقد لعبت هذه الحمامات دور الفندق، فاشتملت على أماكن خاصة لذلك يقصدها الغريب عن المدينة للمبيت مقابل مبلغ من المال، ومازالت هذه العادة مستمرة في الكثير من مدن المغرب العربي كالجزائر والمغرب الأقصى.[32]

رابعا / تصاميمها وطرق عملها في المدن العربية الاسلامية

اختلفت الحمامات فيما بينها سواء من حيث طريقة بنائها أو طريقة عملها وتنظيمها، ففي بغداد التي أخذت شهرتها من حماماتها التي فاق عددها الستين ألفا، وأحسن ما كانت في أيام الرشيد[33]، فإلى جانب عددها الكبير، فقد تميزت بطريقة خاصة في بنائها وإبراز مظهرها الخارجي للناس، إذ كانت تطلى بالقار فيتبادر الى ذهن الرائي أنه رخام أسود ، وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبصرة، تنبع به ولا تنقطع حتى يصير في جوانبها كالصلصال، فيجرف منها ويجلب إلى بغداد. [34]

أما في بلاد الشام فقد استعمل نوع من الآجر الخاص بالحمامات يعرف بالقرميد، وهذا ما نستشفه مما ورد في لسان العرب (القراميد في كلام أهل الشام آجر الحمامات)[35] نظرا لما لها من قوة وقدرة على تحمل حرارة النار المستعملة في تسخين المياه وحفظ حرارة الحمام.

وما يمكن قوله أن الحمامات الشعبية قد تميزت في تخطيطها وعناصرها بالاستقرار، لكن قد تختلف في التفاصيل والعناصر الأخرى ، ففي مصر كانت الحمامات إما مقتصرة على الرجال أو مزدوجة، أحدها للنساء والآخر للرجال على شكل متناظر يفصل بينهما حائل وهي تحت تصرف نفس العائلة كما هو الحال في حمامات طبرية[36] أو مختلطة، يدخلها الرجال ثم النساء، أو العكس وما زالت الكثير من الحمامات الشعبية وخاصة في بلاد المغرب العربي تتبع النظام الأخير، كما كانت تلحق في بعض الأحيان بمطاعم شعبية.

وما تشترك فيه الحمامات العامة هو تكوين الحمام، من حيث الحجرات واختلاف حرارتها، حيث يقال أنّ أصل وضع الحمام أربعة بيوت بعضها دون بعض على التدريج ترتيبها على الفصول الأربعة، إذ يمكن تجزئته الى ثلاثة أقسام هي البارد أو البرّاني حسب أهل بلاد الشام حيث نجد (المعلم) صاحب الحمام أو (المعلمة) أو شخصا ينوب عنه في تحصيل الرسوم ، وحيث يتخلص الناس من لباسهم مقابل ثمن يأخذه الحمّامي إذ توضع في دواليب أو

[30] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص377.
[31] الحموي، المصدر السابق ، ص529.
[32] الفيلالي، المصدر السابق ، ص140.
[33] ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد و مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية ، لبنان، بيروت ، 1992، ج 8 ، ص 82.
[34] ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،ج1، ص241.
[35] ابن منظور : لسان العرب ،ج3، ص 352.
[36] ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص82.

رفوف، ثم يرتدون المآزر الخاصة بالعملية، ويقومون ببعض التمارين الجسمانية، وهي ظاهرة متوارثة من أيام الرومان، وتعرف هذه الحجرة أيضا بالمسلخ، وكثيرا ما كان المستحمّون يتبادلون الثياب فيما بينهم دون قصد، ثم يلي ذلك القسم الفاتر (الوسطاني) والذي يعتبر مرحلة انتقالية، حتى لا يصطدم جسم المستحمّ مباشرة بالساخن، وحجرة يستريح فيها المستحم إذا أتعبه الجو الحار للحمام أيضا، أما الجزء الأهم فهو الساخن (الجويني) أين تتم عملية الاستحمام و التعرّق وعمليات التدليك وغيرها، كما أن معظم هذه الحمامات تبتدئ بممر طويل يصل بين المدخل و المسلخ أو ما سبق أن أسميناه بالبارد هذه الصفة التي بدأت تندثر تدريجيا في الحمامات الشعبية العصرية إذ لم يعد هذا الممر من أساسياتها إذ اختصر في بعضها لمتر أو مترين.[37]

وفي اليمن يتكون مبنى الحمام من ثلاث غرف أيضا تأخذ نفس الترتيب من حيث درجة الحرارة، وهي متلاصقة تبنى تحت الأرض، أما ما يظهر على السطح فهو قباب تشكل سطح تلك الغرف الثلاث، وتؤمن لها دخول الضوء عبر نوافذ زجاجية.

وقد تواجدت بعض الحمامات العثمانية التي تختلف في تصميمها العام نسبيا عن الحمامات الشعبية الأخرى، إذ تتكون من عدة غرف متدرجة من حيث سخونتها تنتهي بقاعة كبيرة توجد بمنتصفها نافورة للماء الساخن ينبعث منها البخار ، حيث تتم عملية الاسترخاء والتدليك من طرف مختصين.

كانت مياه الحمامات تسخن بالحطب ، وكان لكل نوع من الحطب درجة حرارة معينة تنعكس على لذاذة الحمام وعشق الناس له فحمامات بلاد الشام ومعظم بلاد المغرب الإسلامي توقد النار بها تحت أرض الصهريج المعد لتسخين الماء، ويعرف هذا المستوقد بالارّة ليتم توزيعها في قساطل قرميدية أو إسمنتية داخل القسم السّاخن، كما استعملت في بعض الأحيان المخلفات الحيوانية الجافة في ذلك وبقايا الزيتون المعصور في بعض بلدان المغرب العربي كالجزائر والمغرب الأقصى، أما حاليا فقد أصبحت طاقة الديزل والغاز هي البديل والمسيطر عليها، كما كان لنوعية المياه دور في جودة وشهرة الحمام، ففي مصر مثلا نجد أن الحمامات التي كانت تقع بالقرب من نهر النيل كانت جيدة لأن مياهها كانت تجلب من الآبار ذات المياه العذبة أو الحلوة وكلما ابتعدنا عن هذا النهر كلما قلت جودة المياه .[38]

وفي بعض البلاد العربية وضعت قوانين صارمة بخصوص المياه المستعملة التي تخرج من الحمامات إذ منع صرفها نحو الأنهار كنهر دجلة ، أو حتى جلب مياه الحمامات منها فألزم أربابها بحفر آبار للمياه، وفي بلاد الأندلس كانت توضع في بهو بعض الحمامات بعض الصور الملفتة لانتباه العوام الذين يترددون عليها، فقد وجدت بأحد حمامات اشبيلية صورة جارية من مرمر معها صبي، تبين من خلال ملامح وجها وجسدها وكأن حية تريد ابنها بسوء ، فكانت لا تحاكى في إبداعها وإتقانها.[39]

اما في بلاد الاندلس فان الحمامات الباقية في إسبانية من الحقبة العربية الأندلسية فيعود أكثرها إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وهي وثيقة الصلة بالحمامات الشرقية والرومانية إذ تتألف من قاعة كبرى مخصصة لخلع الملابس وتضم إيوانات مرتفعة حول قبة قائمة على أعمدة، وكان لكل من القسم المعتدل الحرارة والقسم الساخن في الحمام قباب فيها فتحات صغيرة لدخول الضوء، وابتكر العرب مجاري لنشر أريج العطر والطيب في أرجاء الحمامات، ومدوا أقنية من الرصاص لجر المياه إليها وإلى المنازل والحدائق والبرك وإلى السبل العامة كما شيّدوا البيمارستانات(المستشفيات) .

يستمد الحمام العربي أصله من الحمامات اليونانية والرومانية التي وجدها الفاتحون العرب في الشام. وقد طُوِّرت الحمامات على يد العرب واكتسبت طابعًا دينيًا بإلحاقها بالمساجد لتيسير أداء الأحكام الإسلامية الخاصة بالنظافة والطهارة، بينما كانت الحمامات الرومانية ذات مبان كبيرة. كما فضَّل العرب اقتناء حمامات صغيرة منتشرة في أماكن كثيرة من المدينة، وفي كلتا الحالتين أصبحت أيضًا أماكن للتعارف الاجتماعي.

---

[37] القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ج2، ص429.

[38] المقدسي ، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، دمشق، 1980م،ج1، ص194.

[39] المقريزي ، المصدر السابق ، ص158.

حمام غرناطة أو البانويلو:[40]

ويوجد حاليا في غرناطة العديد من المنشآت التي تستخدم تقليد الحمام كمكان للقاء والاسترخاء، ومن أشهر هذه الحمامات حمام غرناطة البانيويلو(El Bañuelo) وهو حمام أثري أندلسي، يقع بمنطقة كاريرا ديل دارُّو بغرناطة، بُني الحمام في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي في عهد باديس بن حبوس المنتمي لعائلة بني زيري الملكية في غرناطة الإسلامية، سُمي هذا الحمام بـ "حمام الجوزة" أو "حمام الجوز"، كما سمي في بعض الحقب بـ "حمام القصور"، وأيضًا "حمام باب وادي آش"، وهي بلدية تقع في غرناطة.

ما زال حمام غرناطة محافظا على هيئته وأقواسه العربية، وهو يضم ثلاث صالات رئيسية، وفي سقفه شبابيك زجاجية على شكل نجوم ينفذ منها الضوء.

يتم الولوج الى حمام الجوز عن طريق فناء تتوسطه بركة مياه، تحتوي قاعة الحمام الرئيسية على رواق معمد على هيئة ممرٌ مَسْقوف ذا وظيفة حماية وزخرفة، يمر الرواق بثلاث جهات للقاعة الرئيسية مصحوبا بأقواس على هيئة حدوة الحصان، تقف الأقواس على أعمدة ذات تيجان مأخوذة من مآثر عمرانية قديمة ليعيد استخدامها في بناء هذا الحمام.

اما قاعات الحمام فبالإضافة للقاعة الرئيسية، هناك قاعتين إضافيتين، تقع الأولى مباشرة بعد اجتياز مكان حفظ الملابس، أما الثانية فبعد القاعة الرئيسية اتِّباعا للنمط العام الذي تتبعه الحمامات (غرفة باردة ثم غرفة دافئة ثم غرفة ساخنة).

تحتوي هذه الأخيرة على نظام حراري، تحت الارض لتسخين القاعة بشكل جيد، بالإضافة لخزانين لحفظ وتزويد المكان بالمياه. يحتوي الجزء الخلفي للمبنى على ملحق للقاعة الثالثة وهو عبارة عن غرفة دون سقف حاليا تضمنت، في ذلك الوقت، نظاما للتسخين.

تحتوي جميع القاعات على فتحات أو نوافذ صغيرة، مثمَّنة الزوايا، وأحيانا على شكل نجمة لتسهيل التهوية وتنظيم تكييف الهواء، كانت تُقفل بقطع زجاجية متعددة الألوان في السابق.

اما عن صالات حمام غرناطة فتتكون من ثلاث صالات: هي صالة حارة، وأخرى معتدلة الحرارة، والثالثة باردة، وما إن يدخل الزائر إلى الصالة الحارة حتى يسمع صوت غليان الماء الحار وهو ينفث البخار، وكل ذلك من خلال الصورة والصوت والضوء مع إيهام الزائر بالحرارة، أما في الصالة الثانية المعتدلة فينبعث صوت المياه الجارية، حتى إذا وصل الزائر إلى الصالة الثالثة الباردة، اختلطت الوسائل الفنية الثلاث لإشعار الزائر بأن الصالة باردة حقا.

وتم تشييد حيطان حمام غرناطة باستعمال طبقات سميكة من ملاط الجير والرمل و الماء لعزل الحمام بشكل جيد عن حرارة محيطه الخارجي.[41]

وقد أضافت الحمامات في العصر الإسلامي إلى فن العمارة عناصر عمارية وزخرفية كثيرة فوق الأرضيات والجدران والنوافذ والقباب والأبواب فكانت تبنى على جانب كبير من الدقة والتنظيم من حيث التهوية والإضاءة ، ومن الأمور المهمة التي يجب مراعاتها في بناء الحمامات إن يكون الحمام كثير الضياء لان المكان المظلم الرطب يكون شديد الضرر بالصحة وكذلك ارتفاع السقف وسعة المكان لأنه يساعد على التهوية والإضاءة [42] فالحمام الجيد هو الحمام الحار المضيء المعتدل في حره وبرده الطيب الرائحة العذب الماء وتكون أضواءه كثيرة مشرقة وفناؤه واسعا وفيه تصاوير بديعة الصنعة وبالإضافة إلى مراعاة علو السقوف وسعة البيوت ، يجب ملاحظة التدرج بالحرارة بأقسامه الثلاثة ، قسم معتدل لا يشعر فيه المستحم عند دخوله ببرد أو حر ، وقسم آخر حرارته معتدلة أعلى نسبيا من القسم الأول أما الأخير فتكون حرارته أكثر من الثاني (ساخن) ويشتمل على الأحواض ويجب أن

[40] فخر الدين ، سميرة: حمام غرناطة، موقع تاريخ الأندلس، بتاريخ 31 يوليو 2015م.

[41] - صادق ، صبيح: لمسات فنية معمارية معاصرة لبعث أقدم حمام أندلسي، جريدة الشرق الأوسط، الخميس 27 ذو الحجة 1432هـ / 24 نوفمبر 2011م العدد (12049).

[42] الشيرزي : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص86.

تكون النفس فيه مستقيمة غير متوترة [43] ولكي لا يشعر المستحم بطول الوقت الذي يقضيه في الحمام والتضجر الذي قد يصيبه نتيجة ارتفاع الحرارة لطول البقاء في مكان محدد ، فقد رسموا في الحمام صورا مزوقة بأصباغ مريحة مفرحة شملت الصور الحيوانية والخيل والحروب والقنص والعاشق والمعشوق والبساتين وصور للأشجار والأزهار وغيرها .[44]

أما بالنسبة للوقت أو الساعة من النهار التي يفضل فيها الاستحمام فليس هناك وقت معين ماعدا الفترة القريبة من الغروب وبالتحديد ما بين العشاءين ، معللين ذلك بأنه وقت انتشار الشياطين .[45]

وان أفضل وقت للاستحمام أن يكون على الشبع بعد الهضم الأول ، أو يكون موعده بعد الأكل بثلاث أو أربع ساعات فانه يرطب البدن ويسمنه ويحسن بشرته ، ومن لم يراع هذه المدة فانه يعرض نفسه إلى عواقب وخيمة لأشد الأمراض وللموت المفاجئ .[46]

أما عن موقع الحمامات فقد جرت العادة أن يكون في المدينة العربية الإسلامية قرب المساجد أو ليس بعيدا من مركز المدينة [47]، ومن الطبيعي ان ازدياد عدد الحمامات في المدينة الواحدة يسبب الأذى للقاطنين قرب الحمام ، وذلك لما يسببه الدخان الكثيف الملوث المنبعث من المواقد وكذلك مجاري تصريف المياه أدى إلى وضع المحتسب ضوابط عند اختيار الموضع المعد لها فأصبحت تبنى بمعزل عن البيوت السكنية أو تكون متصلة بالأسواق . [48]

المبحث الثاني

اولا / الحمامات الإسلامية الأولى في العراق

أشارت المصادر التاريخية إلى أولى الحمامات في البصرة في القرن الأول الهجري[49] هو حمام عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي في الخريبة والحمام الثاني كان حمام (فيل)المنسوب لمولى زياد بن أبيه الذي تولى إمارة البصرة والكوفة وقد امتاز هذا الحمام بجماله وروعته حتى ضرب به المثل [50] والحمام الثالث الذي شيد في البصرة حمام مسلم بن أبي بكره في بلالاباذ وظلت كذلك فترة من الزمن لا يوجد في البصرة سوى هذه الحمامات الثلاثة إلى أن صار في البصرة أواسط القرن الأول الهجري احد عشر حمام اشهرها هو حمام فيل الأنف الذكر.[51]

أما عن مدينة الكوفة ثاني المدن الإسلامية التي شيدت في العراق العام 17هـ (638م) ، فقد كشف عن حمام يعود بناؤه إلى الفترة التي بني فيها دار الإمارة ، ويقع في قسمها الشمالي الغربي[52] . وكشفت التنقيبات الأثرية عن حمام قصر الشعيبة الواقع بالقرب من مدينة البصرة جنوب العراق في الفترة الأموية .[53]

وتذكر المصادر التاريخية عن مدينة بغداد أنه في النصف الأول من القرن الرابع الهجري كان بها أكثر من عشر آلاف حمام تناقصت حتى وصلت إلى ألفي حمام في القرن السادس الهجري.[54]

---

[43] البكري ، عادل : "الشروط الصحية للحمامات في العصر العباسي" ، ندوة الحمامات في المدينة العربية الإسلامية ، مركز إحياء التراث ، بغداد، 1990 ، ص 217،218.

[44] جعفر، زين العابدين موسى : الحمامات التراثية في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد، 1995، ص21.

[45] ابن الإخوة : معالم القربة ، ص155.

[46] وجدي، محمد فريد : دائرة المعارف القرن العشرين ، ط3 ، بيروت، دار المعرفة،1971، م3، ص616.

[47] كونل، ارنست: الفن الإسلامي، بيروت ، 1966، ص167و143.

[48] عثمان ، محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، الكويت، 1988، ص247.

[49] الأنصاري، رؤوف محمد علي: "الحمامات الإسلامية في العراق" ، صحيفة الحياة ، العدد 12489 ، 1997م ، ص 21.

[50] البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان ، صلاح الدين المنجد ، القاهرة، 1957، ص434.

[51] مصطفى، شاكر: المدن في الإسلام ،ج2،ص656.

[52] السمكري ، زينب صادق علي : مجلة سومر ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، مجلد 44، العراق، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، 1985 -1986م ، جزء 1 ، 2، ص141-142.

[53] الأنصاري ، المصدر السابق، ص21.

[54] ناجي ،عبد الجبار : دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ص306.

ويذكر أبن بطوطة في رحلته إلى العراق أن في بغداد حمامات كثيرة ، وهي من أبدع الحمامات ، وكانت مطلية بالقار. ويذكر أيضاً أن لهذه الحمامات خلوات كثيرة ، وكانت كل خلوة مفروشة بالقار الأسود ، أسافل جدرانها مطلية به أيضاً وذلك لمنع الرطوبة وتسرب المياه إلى أعلى الجدران ، أما القسم الأعلى من الجدران فكان بيضاً بالجص الأبيض الخالي من الشوائب، وفي كل خلوة من خلوات الحمام يوجد أنبوبان ، أحدهما للماء الحار والآخر للماء البارد.[55]

كما ذكر عن حمامات بغداد : " أن الحمامات بلغ عددها ببغداد لعهد المأمون خمسة وستين ألف حمام، وكانت مشتملة على مدن وأمصار متلاصقة ومتقاربة تجاوز الأربعين" [56]، ومما تجدر الإشارة إليه أن بناء هذا النوع من الحمامات بدأ بها محتشما وخاصة بالبصرة، فكانت لا تبنى إلا بإذن من الولاة، ليصدر بيان منهم فيما بعد يسمح بتشييدها، فكثرت بذلك الحمامات وأصبحت أمرا عاديا [57]. و أن أول حمام اتخذ بالبصرة هو حمام عبد الله بن عثمان ابن أبي العاص الثقفي، في موضع بستان سفيان بن معاوية الذي بالخريبة، أما الثاني فهو حمّام فيل مولى زياد، و الثالث حمام مسلم ابن أبي بكرة في بلال آباذ ، وهو الذي صار لعمرو بن مسلم الباهلي.[58]

وبهذا فقد اشتهرت بغداد منذ بنائها من قبل الخليفة ابو جعفر المنصور بالكثير من المميزات التي جعلتها قبلة للأدباء والشعراء والعلماء وطالب الراحة والجمال وللراغبين بالتعرف على التقدم والانجازات واستنساخها لبلدانهم ، ومن المعالم التي كتب عنها الكثير من الرحالة والكتاب هي الحمامات العامة حيث كانت عدد الحمامات في الجانب الغربي (الكرخ) عشرة الاف حمام وفي الجانب الشرقي (الرصافة) خمسة الاف حمام وفي كل حمام يعمل خمسة افراد (حمامي ، قيم ، زبال ، وقاد ، سقا) وتناقص عددها الى 150 حمام في عام 1258 م وكانت اهم الحمامات في تلك الفترة هي:

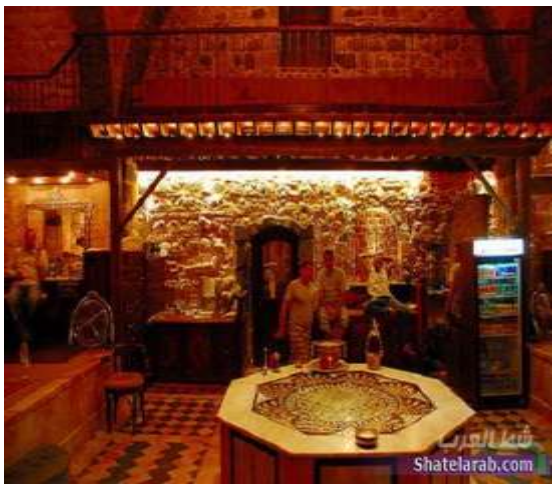

(حمام السراي في الميدان ،حمام الباشا ،حمام عيفان ، المالح) في الرصافة وبقدرها في الكرخ، في مطلع القرن العشرين وحتى منتصفه لم تكن بغداد قد استوعبت الحداثة في موضوع السكن والاعمار وكانت اكثر البيوت تفتقر الى المرافق الصحية بالمعنى المعروف ، وفيها حمامات تستخدم صيفا فقط لأسباب عديده منها الفقر ، سكن اكثر من عائلة في دار واحدة ، صعوبة تامين وسائل الطاقة ، عدم توفر شبكة مياه سائلة الى الدور ، كلفة عالية للمياه المنقولة يدويا ، وقليلا من العوائل كانت في دورها حمامات خاصة وحديثة.

[55] أبن بطوطة : رحلة أبن بطوطة ، مطبعة الجزيرة، مصر ،1905م، ج1، ص166.
[56] ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: المقدمة، ط5، دار القلم ، لبنان، بيروت ،1984، ص343.
[57] الحموي : معجم البلدان ،ج1، ص435.
[58] البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية ، لبنان، بيروت،1403هـ، ص348.

كان البغداديون يتواجدون على ضفاف نهر دجلة وكانوا بحكم تواجدهم هذا مولعين في موضوع النظافة ولذلك كان موضوع الاستحمام من الاولويات في كل عائلة ولذلك كان للحمامات العمومية مكانة خاصة ولها طقوس خاصة لكلا الجنسين الرجال والنساء والاطفال .. وقبل الدخول في تفاصيل الحمامات لابد من وصف بسيط للحمام العمومي بشكل يشترك فيه كل الحمامات حيث تتكون من ثلاثة اجزاء رئيسية وهي : الصالة الخارجية والصالة الداخلية واماكن الخلوة، الصالة الخارجية هي التي تستقبل وتودع الزبون وفيها اماكن وضع الملابس وفيها المناشف و(الوزره) قطعة قماش يتوزر فيها الزبون قبل الدخول الى الصالة الداخلية.

التي تتكون من دائرة كبيرة فيها دائرة اصغر مرتفعة عن الارض (تسمى الصبة) وتكون حرارتها اعلى من حرارة الارض يضطجع عليها الزبون لاكتساب الحرارة لجسمه ثم ينتقل الى الخلوة وهي مكان منفرد فيه حوض من الماء وحنفيتين احداها للماء الحار والاخرى للبارد مع دكه للجلوس دائما ما تكون من الحجر .

الاستحمام نوعين الاول منفرد والثاني مع التدليك الذي يقوم به (المدلكجي) ومن التجهيزات التي يصطحبها الزبون هي:

الليفة ، الصابون الركي .. يسمى الركي لكونه من مدينة الرقة في سوريا ، الحناء البيضاء ، والبعض يصطحب معه المناشف الخاصة به ، بعض الفواكه وخاصة الليمون والبرتقال.

اما التجهيزات التي تتواجد في الحمام هي (القبقاب ، الليفة ، الحناء البيضاء ، المناشف ، الشاي ، الدارسين ، الماء البارد ، كيس الحمام ،الصابون، حجارة الحمام .

تعتبر عملية الاستحمام ايضا فرصة للحديث بين الرجال والتلاقي والجلوس بعد الاستحمام في الصالة الخارجية لشرب الدارسين او الشاي والتكيف على تغيير درجة الحرارة قبل الخروج الى الخارج ، وللنساء دور ايضا في الحمامات وفيهن يضرب المثل (حمام نسوان) من كثرة الضجيج والكلام والصياح ولحمام النسوة طقس خاص فإنها تتهيأ للحمام من قبل يوم وتهيء الفواكه والبقجة التي هي قطعة قماش توضع فيها الملابس الخاصة بالحمام ، وكانت الحمامات تخصص الى الرجال في ايام معدودة والنساء في ايام اخر في حالة عدم توفر حمام خاص لكل فئة ، وكانت اسعار الاستحمام لا تزيد عن 20 فلسا ثم ارتفعت الى 50 فلسا واليوم اسعارها قد تصل الى 10000 دينار ومن الحمامات المشهورة في بغداد في تلك الفترة في الكرخ (حمام شامي حمام ايوب ، حمام الجسر ، حمام الجعيفر) وفي الرصافة (حمام حيدر ، حمام الشورجة ، كجو ، كنجه علي ، الباشا ،المالح ، يونس ، القاضي .

اما في العصر العباسي فيعتبر حمام قصر الأخيضر أقدم ما وصلنا وهو بناء مستطيل الشكل يقع بين البيت الجنوبي من بيوت السكنى ، وبين قسم الخدم ، طوله 9.90 متر وعرضه 9.30 متر، ويقع مدخله في الركن الجنوبي الشرقي من الرواق الكبير، يحيط بالحمام جدار داخلي إضافة إلى الجدران الأساسية التي هي من أصل القصر، وهذا الحمام خاص بالقصر جدرانه الداخلية مشيدة من الطابوق والنورة ، أما أرضية الحمام فهي مبلطة بالرخام الأبيض، وله مدخل رئيسي داخلي يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للرواق الكبير ومداخل فرعية أخرى، وقسم الاستحمام يتكون من ثلاث قاعات متداخلة ، يؤدي إليه مدخل في الضلع الغربي، والتصميم العام للحمام يشبه تصميم الحمامات التي شيدت في العصور الإسلامية، كما توجد بناية صغيرة في الجهة الشمالية الشرقية للحصن ، ويشبه تصميمها الحمام.[59]

وتطورت الحمامات في العصور الإسلامية المزدهرة، ففي ذلك الوقت لم يكن مألوفاً أن يستحم الناس في بيوتهم ، ولم تكن هناك حمامات خاصة إلا في بيوت الحكام والولاة ومنازل الميسورين، ومن هنا نشأت الحمامات العامة التي يؤمها عامة الناس على اختلاف طبقاتهم.[60]

ويعود اهتمام المسلمين بها أيضاً لأسباب صحية ودينية ، لأنها كانت ضرورية للتطهير والاغتسال ووسيلة للاستعداد للعبادة، وكان لهذا الأمر تأثير واضح في تطور الحمامات عمرانيا، أما الحمامات المتخصصة للنساء فكانت تبنى إلى جانب الحمامات الخاصة بالرجال.

اما الحمامات الشعبية في مدينة كربلاء فهي مراكز للحياة الاجتماعية ، حيث ترتبط بها المناسبات الهامة في حياة الناس ، منها أن يذهب العريس إلى الحمام قبل زفافه ، وكذلك يستعمل كصالون تجميل للنساء ، وتستعمل الحمامات الشعبية كمنشآت صحية للعلاج والتخلص من بعض الأمراض[61]

ويذكر الكاتب الصحفي عمانوئيل فتح الله عمانوئيل لدى زيارته لكربلاء سنة 1329هـ (1911م) إن بها حمامات كثيرة.[62]

لقد استمدت الحمامات العامة في كربلاء أصولها المعمارية من الطراز الفارسي والتركي ، ولكنها تميزت عنهما بصفات محلية عرفت بها العمارة في كربلاء من حيث استعمال مواد البناء المحلية كالطابوق (الآجر) والجص والنورة والقار الأسود ، وهي من المواد العازلة للحرارة، واستخدمت في بناء الحمامات الكربلائية القباب والقبوات والعقود الآجرية في تسقيفها. أما جدرانها فهي سميكة وتنشر في الكثير منها الزخارف الجميلة خصوصاً في الواجهات الخارجية والقباب والمداخل.[63]

ثانيا/ الحمام في البيوت التراثية

ويقع في ركن من أركان البيت ومساحته متران مربعان أو أكثر بقليل ، يحتوي على حوض ماء صخري صغير، ويسخن الماء في معظم الأحيان في مشربة خارج الحمام في ساحة البيت أو المطبخ ثم تدخل إلى الحمام فيفرغ ماؤها في الحوض ، وهنا تبدأ عملية الاستحمام ، وأحياناً يوجد تحت أرضية الحمام موقد نار (المشعل) لتسخين أرضية الحمام ، ويستعمل الخشب كوقود لهذا الغرض. وكان معظم الناس يستخدمون الحمامات الشعبية المنتشرة في أحيائها القديمة.[64]

---

[59] G.L.Bell:Amurath to amurath,p.147-15:K.A.Creswell:Early Muslim - architecture,vol.11,p.52-70.

[60] البلاذري، المصدر السابق، ص355 .

[61] طعمة، سلمان هادي : " الحمامات الشعبية في كربلاء" ، مجلة التراث الشعبي البغدادية ، عدد12، بغداد، 1972م ، ص61.

[62] مجلة لغة العرب البغدادية ، عدد5 ،1972م، ص 158 .

[63] طعمة ، المصدر السابق ، ص61.

[64] الكشاف الأثري في العراق، وزارة الثقافة والإعلام ، ص 215.

المبحث الثالث

أولا/ حمامات مدينة كربلاء المقدسة

وقد اشتهر في كربلاء عدد من الحمامات منذ القدم منها لا زالت باقية حتى الآن وقسم آخر أندرس أثره نتيجة للتخطيط الحضاري الذي طرأ على المدينة بفتح الشوارع الحديثة . وهذه الحمامات هي :

1- حمام المالح :

ويعرف اليوم بحمام موسى بن جعفر (عليه السلام) . يقع اليوم في محلة باب الطاق ، وقيل: إن المرحوم السيد علي السيد أحمد آل نصر الله هو الذي كان يستأجر الحمام لقاء مبلغ معين متفق عليه في ذلك الوقت، ويرجع تاريخ بناء الحمام إلى القرن العاشر الهجري.[65]

2- حمام الكبيس:

أوقفه الخواجة عيسى بن المرحوم محمد اللافيهي ، والموقوف عليه يحيى جلبي وذلك بتاريخ 9 ربيع الأول سنة 989 هـ وتوليته بيد السادة آل الوهاب وآل الجلوخان وبعض الأسر العلوية ، ويعرف بالكبيس نسبة إلى عشيرة الكبيسات التي قطنت محلة الكبيس وهي جزء من محلة باب الطاق.

3- حمام ركن الدولة :

أسسه الشاهزاده على نقي مرزا ركن الدولة وذلك بتاريخ 1255 هـ وتوليته بيد العلامة السيد محمد باقر الحجة الطباطبائي . وموقعه في منتصف سوق القبلة الذي فتحه جلال باشا متصرف لواء كربلاء سنة 1328 هـ وكان يؤجره للعسكر ، وقد أندرس أثره اليوم .[66]

4- حمام البغدادي:

وهو العائد للسيد مهدي الجواد البغدادي ، وقد تأسس قبل قرن واحد ، ويقع في ساحة البلوش (ساحة الإمام علي حاليا) .

[65] آل طعمة ، محمد حسن الكليدار: مدينة الحسين ، ج 1، ص 26.
[66] القزويني، إبراهيم شمس الدين : البيوتات العلوية في كربلاء ،ج 1 ، ص 17 و 31 .

5- حمام القبلة:

أسسه محمد علي خان جان الكرمانشاهي أحد أتباع الحكومة البريطانية وذلك في سنة 1890 م ، وموقعه بباب قبلة الحسين (عليه السلام) ، لكن آثاره قد اندرست منذ سنة 1949 - 1950 م اثر افتتاح شارع الحائر الحسيني .[67]

6- حمام المشروطة :

يقع في محلة العباسية الشرقية ، ويعزى سبب تسميته بهذا الاسم لأحد زعماء (الدستور الإيراني ، هو الحاج أغا نور الله الأصفهاني) وكانت إدارته بيد أخيه الشيخ إسماعيل ، أما في الوقت الحاضر فقد انتقلت إدارته لأولاده ، وقد أستملك قسماً منه آل الكمبوري ، ويعود تاريخ تأسيسه إلى 1910 م .

7- حمام الشاخة :

كان موقعه في محلة العباسية الغربية على فرع من نهر الهندية ويعرف بالشاخة . وقد أسسه حسين عسكر سنة 1892 م على عهد السيد حسين السندي رئيس بلدية كربلاء آنذاك ، ثم انتقل إلى ولده محمد علي ، وقد تهدم اثر التوسع الحاصل بشارع العباس ، وأعيد بناء ما تبقى منه ، ويسمى اليوم بـ (حمام كربلاء الحديث) ، وهناك حمام للنساء يقع بالقرب منه .

8- حمام شنطوط:

أوقفته السيدة خديجة بنت عبد الحسين عجام لذرية الحاج محمود شنطوط وقفاً خيريا سنة 1920 م . وموقعه في نهاية شارع علي الأكبر قرب سوق العباس .

9- حمام المخيم:

وكان يعرف بحمام فيروزة ، وكانت ساحة المخيم إذ ذاك مدفنا للموتى ، وقد شيد على أنقاضها هذا الحمام وأسسه المرزا أحمد المعمار الشيرازي المعروف بضياء التجار ، ويعود تاريخ تأسيسه إلى السنة 1900 م ، وهناك عدة سهام ابتاعها المرحوم السيد محسن السيد محمد علي آل طعمة . وموقعه اليوم في الواجهة الأمامية لساحة المخيم.[68]

[67] كربلاء في الذاكرة

10- حمام اليهودي:

ويعرف اليوم بحمام الصفاء ، شيده يعقوب شكر الله أحد الملاكين اليهود المشهورين ، وموقعه في نهاية سوق العلاوي في الزقاق الذي كان يقطنه اليهود في العهد العثماني في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي .

11- حمام النواب:

أسسه أحد الشخصيات من نوابي الهند ، وقد ابتاعه السيد مهدي الطباطبائي السندي ، وكان موقعه في سوق الهرج ـ ساحة الشهداء حاليا ـ يجاور هذا الحمام ، حمام خاص للنساء وبابه في زقاق الداماد.

12- حمام السعادة:

وكان يعرف بحمام الچاچين المحرفة من كلمة دكاكين ، الواقع في محلة باب السلالمة في زقاق النصاروة .[69]

13- حمام السيد سعيد الشروفي:

ويعرف في الوقت الحاضر باسم (حمام الفرات) للرجال وكانت ملكيته تعود في الأصل إلى السيد سعيد الشروفي، ويقع هذا الحمام في باب السلالمة في كربلاء المقدسة ولا يزال هذا الحمام قيد الاستعمال ، ويرتقي تاريخ بنائه إلى أواسط القرن التاسع عشر للميلاد، وقد تعرض هذا الحمام إلى إضافات وتجديدات كثيرة ،أهمها استحداث واجهته الخارجية واستبدال بابه القديم بباب حديث الصنع وكذلك المجاز (شكل1).[70]

يشغل الحمام رقعة مستطيلة من الأرض تبلغ مساحتها (320م)وأبعادها(19,6م×16,5م) (مخطط1) .

للحمام مدخل رئيس يقع في الجهة الجنوبية وبالتحديد في الزاوية الجنوبية الغربية حيث تطل واجهته على الشارع العام إلى جانب مدخله من جهة الشرق مجموعة من الحوانيت الصغيرة مشاغل لصناع وحرفيين (شكل1) أما من جهاته الأخرى فتتصل به وحدات سكنية .

يفضي المدخل إلى قاعة الاستقبال أو قاعة المنزع وهي على شكل ردهة واسعة تعلوها قبة منخفضة ارتفاعها (5,7م) ويلاحظ عليها الاعتناء والاهتمام من الخارج وذلك بسبب الصيانة المستمرة (شكل2)، وقد غلفت واجهاته الخارجية بقطع الحجر المهذبة وهو حديث ولا علاقة له بالأصل (شكل3) وتعلو قاعة الاستقبال قبة تقوم على أربعة عقود مدببة مرتفعة ضخمة ويزينها من الداخل مقرنصات على شكل مثلثات كبيرة تحصر داخلها معينات تنتهي بشكل نجمي (شكل4) ويلاحظ وجود نافذة واحدة مستطيلة الشكل بطول 60سم وبعرض 80سم لإدخال الضوء(مخطط2).[71]

لقد حولت الدخلات الكبيرة المتفاوتة في العمق هذه القاعة من الشكل المستطيل إلى الشكل المربع في جزءها العلوي تسهيلا لإقامة القبة فوقها، وان تغطية الحمامات بالقباب والاقبية يزيد من ارتفاع المبنى زيادة واضحة وبالتالي يزيد من نسبة حيز الفراغ الداخلي وهذا الارتفاع يساعد على زيادة الاستيعاب لكميات بخار الماء او الرطوبة المتصاعدة فتقل بذلك كثافة البخار في الحيز الفراغي عكس ما لو كان السقف منخفضا فتزيد كثافة بخار الماء ويشعر من في الحمام بالاختناق كما ان الارتفاع كذلك يساعد على تحريك الهواء في المكان فيتجدد الهواء ذاتيا من خلال صعود التيارات ونزولها بين الحار والبارد [72]، ولا يوجد في هذه القاعة ما يستحق الذكر باستثناء النوافذ المستطيلة التي فتحت في أعالي الجدار (60سم×80سم) المحددة بأطر من الخشب يتخللها قضبان الحديد المثبتة طوليا ، سدت بصفاقتين من الزجاج الشفاف غير الملون الذي يسمح بدخول الضوء دون الهواء والمطر، كما يوجد في هذه القاعة مدخلان آخران يقع احدهما في الضلع الشرقي قرب الزاوية الشمالية الشرقية يؤدي إلى مؤخرة الحمام ، أما المدخل فموضعه في الضلع الجنوبية أي في الزاوية الجنوبية الشرقية والذي يفضي إلى القاعة الدافئة .

---

[68] كربلاء في الذاكرة ، ص301.
[69] المصدر نفسه، ص305.
[70] جعفر، المصدر السابق، ص67.
[71] جعفر، المصدر السابق،ص67.
[72] عثمان ، المصدر السابق ، ص283.

والقاعة الدافئة مستطيلة نسبيا (4,20م×2,20م) يوجد في صدرها مرافق صحية قديمة قدم البناء نفسه ، وقد سقفت هذه القاعة بقبوة منخفضة وفيها بابان آخران يقعان في الجدار الشرقي احدهما يؤدي إلى سلم يوصل إلى السطح والباب الثاني الذي يقع إلى جانب الباب الأول يؤدي إلى قاعة الاستحمام الساخنة .

إن قاعة الاستحمام على شكل ردهة واسعة تعلوها قبة منخفضة تتشابه مع قبة المنزع شكلا وحجما ،مقامة على أربعة عقود مدببة مرتفعة ضخمة ، وفي الجهة الشرقية يقوم العقد المدبب الكبير على ثلاثة عقود منبطحة منخفضة ترتكز هذه العقود على عموديين اسطوانيين يتشابهان مع عمود الحمام السابق الذكر، وان القاعة هنا مستطيلة الشكل (12م×8,30م) إلا إن وجود الخلوات والدخلات قد ساعدت على تهيئة شكل مربع في الوسط لإقامة القبة ، ويلاحظ في الضلعين الشرقي والغربي من هذه القاعة وجود خلوات ضيقة تتسع لشخص واحد فقط ، وبفضل وجود العمودين الاسطوانيين في الضلع الشمالي أمكن قيام دخلة (6,50م×2م) تتوزع على جوانبها دكاك لجلوس المستحمين ، ومن الملاحظ إن المعمار جعل هذه الدخلة أربعة فتحات قياس كل منها (30سم×50سم) وذلك لإدخال الهواء الساخن الذي يكون عادة محملا بالبخار الكثيف لغرض الزيادة في تدفئة القاعة ،وان هذا الحمام شيد بالآجر والجص وربما كانت واجهة البناء عند التشييد مكسية بطبقة سميكة من الجص غير انه في الوقت الحاضر تكسوه طبقة من الاسمنت .[73]

ثانيا/ وصف الحمامات العامة في مدينة كربلاء

تتألف الحمامات العامة في كربلاء من ثلاثة أقسام وهي:

القسم الأول/ المنزع :

وهو مكان فسيح أشبه بقاعة كبيرة غير مدفأة يخلع فيه الناس ملابسهم ، ويحتوي على مساطب خشبية أو رخامية للجلوس. ويعرف المنزع محلياً بـ(البراني) ويتوسطه أحياناً حوض ماء صغير على شكل نافورة، ويعلو المنزع في أكثر الأحيان قبة كروية الشكل تحتوي على فتحات صغيرة ثبت فيها الزجاج الملون لإدخال النور إلى هذا الجزء من الحمام وفي بعض الحمامات توجد المنازع على شكل دواليب تحفظ فيها الملابس .

القسم الثاني:

ومن المنزع ينتقل المستحمون عبر دهليز يفضي إلى مكان كبير هو الحمام الذي يكون على شكل مربع أو دائرة في أكثر الأحيان، ويحتوي على أركان (خلوات) ، ويوجد في كل خلوة حوض صغير وحنفيتان ، واحدة للماء البارد وأخرى للماء الحار وكذلك دوش ، ويسمى هذا القسم من الحمام (الجواني) ، ويعلو هذا القسم في معظم الحمامات قبة كروية كبيرة أو قباب صغيرة كروية الشكل تتوزع فيها فتحات صغيرة ثبت فيها الزجاج الملون لإدخال النور.

أما أرضية هذا القسم فكانت تبلط بالطابوق (الآجر) المسطح (الفرشي) المصخرج ، وفي أكثر الأحيان توضع عليه طبقة من القار الأسود، وفي بعض الحمامات تبلط الأرضية بالحجر المصقول ، أما جدرانها فتغطى إلى ارتفاع 1.5 متر تقريباً بالقار الأسود. أما القسم العلوي منها فيكسى بالجص الأبيض الخالي من الشوائب.

القسم الثالث:

غرفة الخزينة ، وتسمى أيضاً بيت الحرارة أو غرفة البخار، وهي عبارة عن غرفة يتوسطها حوض كبير يُملأ بالماء الحار، وأحياناً تكون الخزينة أو حوض الماء الحار ضمن القسم الجواني وفي ركن من أركانه ، وفي بعض الحمامات يوجد أكثر من خزينة واحدة.[74]

وتتم تدفئة الحمامات العامة في مدينة كربلاء بواسطة مواقد (مشاعل) يطلق عليها محلياً اسم (الكورة) تقع تحت أرضية الحمام ، حيث يؤتى بالحطب (الخشب) ويوضع في هذه الكورة لإشعاله.

أما ماء الحمام فكان يسخن في خزانات كبيرة توجد في موضع بجوار الحمام يطلق عليه محلياً أسم (الطمة) . وقديماً استعملت فضلات الخيل والحمير والبغال اليابسة كوقود لهذا الغرض .[75]

[73] جعفر ،المصدر السابق ، ص68.
[74] الأنصاري، المصدر السابق، ص21 .
[75] المصدر نفسه ، ص21.

ومن التأثيرات السلبية التي كانت تسببها بعض الحمامات العامة في كربلاء ، عدم وجود طريقة لتصريف مياه المجاري ، لذلك كانت تضخ إلى آبار اصطناعية فتسبب في صعود مناسيب المياه الجوفية داخل المباني المحيطة.

ثالثا/ اسس قيام الحمامات التراثية

هناك اسس يقوم عليها تصميم الحمام من اهمها :[76]

1-ان يشتمل الحمام على هواء وماء حارين .

2-ان تتوفر في الحمام من الداخل رغم الهواء والماء الحارين والذي ينتج عنهما نسبة عالية من الرطوبة لتواجد بخار الماء بكثافة ، فرصة جيدة للتنفس الصحيح فلا يحدث غثيان او اغماء .

3-الا يتسرب الى داخل الحمام أي دخان من الدخان الذي يصدر عن المستوقد الذي يلحق بالحمام لتسخين الماء والهواء .

4-الا تتعرض الوحدات الداخلية للحمام لتيارات الهواء البارد التي تؤثر سلبا على المستحمين فيتعرضوا للأمراض الناتجة من التعرض لهذه التيارات .

5- الاهتمام بتوفير المقومات الجمالية التي تساعد على الراحة النفسية لجموع المستحمين في كل وحدات الحمام.

6-تلبية ما يحقق الخصوصية للأشخاص داخل الحمام وخاصة في حمامات النساء.

رابعا/ الحمامات الشعبية موروث كربلائي

الحمامات التراثية في مدينة كربلاء تتميز بهندسة البناء والنقوش البديعة والزخارف الجميلة المختلفة التي تعلو كل واجهة إلى جانب القبة العالية المعقودة والتي لم يكن باستطاعة البنائين اليوم القيام ببناء مثل هذه القبة أو على شاكلتها ، أما عن الفوائد التي نجنيها من الحمامات فقد اتخذت منذ القدم أماكن للعلاج والتخلص من بعض الأمراض التي تصيب الإنسان جراء البرد القارص . فالمعروف إن حرارتها العالية تزيل الكثير من الأوجاع التي تصيب الجسم ومنها وجع العظام والزكام . وطبيعي لا يتم هذا العلاج إلا بعد أن يمكث المستحم داخل الماء الحار (الخزينة) فترة طويلة من الزمن لا تتجاوز الساعة أو أكثر، وهذا ما نشاهده الآن ساريا في كثير من الحمامات الشعبية في كربلاء وخارجها.

كانت الحمامات قديماً دهاليز مظلمة ماؤها شديد الحرارة بحيث لا يستطيع المستحم المكوث فيها أكثر من نصف ساعة، وكثير من الناس يغمى عليهم ، نظرا لارتفاع حرارة هذه الحمامات ، وكان الناس مضطرين في التردد عليها لان بيوتاتهم خالية من الحمامات الخصوصية كما هو اليوم حيث تتوفر في البيوت كل الوسائل الصحية والنفسية.

خامسا/ العاملون في الحمام

1- الأسطة : -

وهو الشخص الذي يجلس على الكرسي وأمامه (الدخل) وهو أما أن يكون صاحب الحمام أو الضامن .

2- الجومدار:

وهي كلمة فارسية يراد بها (موزع الإزار) ويقوم بدور المنشّف ، حيث يأخذ الإزار المبلل وينشفه في الشمس على سطح الحمام ، واليوم تطورت عملية التنشيف وصارت بطريقة الكهرباء .

3- الدلاك :

وهو الذي يقوم بتدليك الجسم داخل الحمام وفي لوج خاص.[77]

سادسا/ ما يستخدم داخل الحمام:

[76] عثمان ، محمد عبد الستار : فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني (دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات في صعيد مصر) ، اعمال المؤتمر العالمي الرابع لمكونة الاثار العثمانية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي ،اب 2001، ص279.

[77] كربلاء في الذاكرة، المصدر السابق، ص376.

1- الإزار:
وهو قطعة قماش تتميز بلون أحمر وهو الغالب على أكثر الأوزار ، يستخدمه المستحم عند الدخول إلى الحمام ثم يستبدل بأوزار جديد عند الخروج إذا لم يجلب المستحم أوزاره الخاصة.
2- السدر:
واستعماله من قبل الرجال المقدسين والمعمرين ، حيث يخلطون السدر بالحناء وورد الختمي لتدليك الجسم ورفع البثور ، ومن الناس من يدلك رأسه بالنارنج أو بماء النارنج .
3- النورة:
ويعرف بـ (دواء الحمام) وهو مركب من مادة الزرنيخ والنورة لإزالة الشعر من الجسم .
4- الصابون:
وهو بأنواعه المختلفة المعطرة منها وغير المعطر لاسيما صابون الرقي.
5- الكيس:
ويستعمل من قماش خشن أسود اللون . ويتم تدليك الجسم باحتكاكه بالجلد ويستخرج منه فتيلا من الأوساخ ، ويستعمل المدلك (السبداج) بوضعه على الكيس لأجل رفع الأوساخ المتراكمة وتنظيف الجسم جيدا.
6- الليفة :
وهي مشبك من خيوط البند تحيكه النساء ، ويستعمل لتنظيف الجسم بشكل يكون الصابون داخل الليفة ، وإضافة إلى ما تقدم ، فهناك مواد ثانوية اخرى تستعمل داخل الحمام كالحجر والموس.

يدخل المستحم في المنزع ويودع أماناته ـ إن وجدت ـ لدى الأسطى ، ثم يخلع ملابسه ويدعها في زاوية خاصة ، ثم يدخل إلى الحمام لغسل جسمه، وهناك عدد كبير من الوجهاء يجلبون معهم الفواكه كالبرتقال والنومي والرمان والنارنج لتقوية أجسامهم حتى يحصلوا على القوة والانتعاش، وبعد فراغ المستحم من الغسيل يدق بالطاسة على الحوض أو يصفق بكلتا يديه إشارة إلى الخروج ، وعندما يسمع الجومدار يأتي بمناشفه ثم يلبسها ويخاطبه : نعيماً دائما ، فيجيبه : انعم الله عليك ، ثم يدخل حوضا صغيراً بباب المنزع لغسل رجليه ، ثم يجلس في الموضع الذي خلع فيه ملابسه ، وبعض الأشخاص المعروفين والذوات يأتيهم المنشف ويمرخ لهم بالمناشف لمدة وجيزة ، وفي الأعياد يعمل الصنّاع بوضع صينية داخل المنزع فيها إبريق ماء الورد ، فالمستحم عند خروجه من الحمام يرمي بمبلغ مناسب في الصينية ، وتقسم المبالغ المتجمعة على الصناع أنفسهم ، وكانت أجرة الغسل في الحمام أبان العهد العثماني لا تتعدى القرش الواحد ، وقد صارت فيما بعد بين 150 ـ 500 فلسا حسب درجة نوعية الحمام ، والحمامات تكون تحت إشراف وزارة الصحة ، ولا تمنح الإجازة لصاحب الحمام إلا بعد توافر عدد من الشروط .

ومن العادات المتبعة في الأفراح إن بعض الأشخاص الذين يتزوجون ، يستغلون الحمام لساعتين ، فالعريس يصحب معه جماعة من أصدقائه ولفيفا من أقربائه لا يقل عددهم من 10 ولا يزيد عن 20 مما يضطر صاحب الحمام أن يلتزم بغلق باب الحمام حكراً لهم ، فلا يدخل أحد قبل الموعد المحدد .، وهناك توزع الفواكه داخل الحمام ويترنم المحتفون بالأغاني الشعبية والأناشيد الرائعة ابتهاجا بزواج الصديق المحتفى به ، وقد يكون عكس ذلك في الأحزان أي في يوم أربعين الشخص (المرحوم) حيث يذهب رئيس العائلة مع زمرة من أقربائه بعد حلق رؤوسهم ووجوههم إلى الحمام .[78]

سابعا/ حمامات النساء

وتكون مجاورة لحمامات الرجال في الأعم الأغلب ومنها ما تكون مفتوحة في الصباح المبكر ، وتكاد تختلف النساء عن الرجال في العادات المتبعة في الاستحمام والأدوات التي يجلبونها ، فالنساء يحملن المناشف من البيت مع الملابس الخاصة بهن وتوضع داخل (البقچة) وهي بالعامي تعني قطعة قماش توضع فيها الملابس وتشد.

أما المواد التي تجلبها المستحمة الى الحمام فهي :

1- الحناء السوداء والحمراء وهي تشترى من العطار

[78] كربلاء في الذاكرة، المصدر السابق، ص377-378.

2-الصابون الرقي لغسل الجسم .
3-السبداج خاتون لغسل الوجه وهو مسحوق أبيض على شكل أقراص.
4-طين خاوه لغسل الرأس
5- طاسه لوضع الصابون والمشط أثناء الاستحمام
6- حجر لتحجير كعب الساق
7- المسواك لتنظيف الأسنان
8-السدر (ورق النبق) يستعمل لغسل الرأس
9- القبقاب .
10- الحرمل والبخور .

هذا فضلا عن ان النساء لديهن دلاكة لتدليك أجسامهن ، وهناك عاملة واحدة تجلب لهن المناشف وأجرتها كانت 20 فلسا ، وأجرة الحمام 60 فلسا ، وأجرة الدلاكة 60 فلسا أيضا.

ومن العادات المتبعة لدى النساء عند الولادة أن تذهب أم الطفل بعد الولادة بسبعة أيام إلى الحمام مصطحبة جدة الطفل ، إن كانت حية ترزق ، وبعض الأقارب والصديقات ، ويصحبن معهن كيسا مملوءاً بالفواكه من أجل إتمام البهجة في نفوس المستحمات . وهناك فرق بين أجور الحمام حيث تكلف مبلغاً أكثر من المعتاد لاسيما في الوقت الحاضر.

ثامنا/ كيفية اشتعال الحمام (المستوقد)

سبق قد استعرضنا طريقة اشعال الحمام والعادات المتبعة في كل المدن الاسلامية والان نتعرف على طريقة اشعال الحمام في حمامات مدينة كربلاء المقدسة حيث ان هناك كورة تقع في جوف الحمام بثلاثة اذرع ، حيث يؤتى بالحطب ويرمى فيها لكي تصبح أرضية الحمام حارة ، وكان يحمى ماء الحمام قديماً بواسطة (الزبل) وهي القاذورات التي تتجمع في اصطبلات الخيل والحمير والبغال ، حيث تتجمع في موضع يقال له (الطمة) ويكون موقعها بجوار الحمام، وهناك عامل خاص يقوم بهذه العملية لقاء أجور معينة ، أما اليوم فقد استبدل النفط الأسود والماء والكنديسة بدلا من الحطب ، وقد حلت محلها حمامات عصرية منظمة تشعل بالغاز .[79]

ويقع في ركن من أركان البيت ومساحته متران مربعان أو أكثر بقليل ، يحتوي على حوض ماء صخري صغير. ويسخن الماء في معظم الأحيان في مشربة خارج الحمام في ساحة البيت أو المطبخ ثم تدخل إلى الحمام فيفرغ ماؤها في الحوض ، وهنا تبدأ عملية الاستحمام ، وأحياناً يوجد تحت أرضية الحمام موقد نار (المشعل) لتسخين أرضية الحمام ، ويستعمل الخشب كوقود لهذا الغرض، وكان معظم أهالي مدينة كربلاء يستخدمون الحمامات الشعبية المنتشرة في أحيائها القديمة.

اما المستوقد عماريا عبارة عن كتلة بنائية تتضمن عدة مستويات بنائية المستوى السفلي عبارة عن بيت النار واسفله جوره وهو الموضع الذي يشعل فيه النيران لتسخين الماء والهواء ولبيت النار مدخنة عبارة عن قصبة مبنية مفرغة من الداخل تسمح بصعود الهواء الى اعلى ويرتفع بناؤها الى مستوى سطح الحمام ويعلو بيت النار مناطق مفتوحة تبنى فوقها الدبكونية التي يوضع عليها قدور الماء سواء كانت من الرصاص او النحاس وتتصل هذه القدور بمصدر الماء البارد الذي يزودها او تملأ بالماء عن طريق نقل الماء اليها بوسيلة او بأخرى وتتصل من اسفل بالأنابيب التي تحمل الماء الساخن الى وحدات بيت الحرارة .[80]

الخاتمة

الحمامات تشكل مرفقا حيويا من بين المرافق الأكثر أهمية في المدينة العربية الإسلامية منذ بداية العصر الإسلامي فبات وجودها في كافة الأزمنة من المكملات الأساسية في رسم نسيج المدينة أو جزءا أساسا من تخطيطها ، وان

[79] كربلاء في الذاكرة، المصدر السابق، ص379
[80] عثمان ، المصدر السابق ، ص290.

الحمامات من المؤسسات الخدمية التي لها علاقة مباشرة بحياة الفرد والمجتمع ومن ثم يكون لها دور حضاري متميز ولما كان من مبادئ الإسلام الطهارة والنظافة لذلك كان ظهور هذه المؤسسة الخدمية التي تسمى حمام من الضروريات في المجتمع الإسلامي وان الحمامات تشترك فيما بينها بجملة خصائص منها الخصوصية في التخطيط فهي تعتمد على النظام الثلاثي (القاعة الباردة ،الدافئة ،الساخنة) وتميزت واجهاتها الداخلية والخارجية بالبساطة وخلوها من أي ضرب من ضروب الزخرفة إذا كان لهذا المعلم العمراني أهمية كبيرة في المجتمع لارتباطه براحة الفرد ونظافته وطهارته.

المصادر

المصادر العربية

- ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين:

1- لسان العرب ، بيروت ، 1956م ، مجلد 12.

- ابن كثير ، ابو الفدا اسماعيل بن عمر :

2- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، لبنان ، بيروت ،ج7.

- ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي:

3- رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني ، لبنان، بيروت.

- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد:

4- المقدمة، ط5، دار القلم ، لبنان، بيروت ،1984.

- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي :

5- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد و مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية ، لبنان، بيروت ، 1992، ج 8 .

- ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله :

6- تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ط4، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت ، 1405هـ، ج1.

7- رحلة أبن بطوطة ، مطبعة الجزيرة، مصر ،1905م، ج1.

- الأصفهاني ، عماد الدين:

8- البرق الشامي ، تحقيق فالح حسين، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان ، الأردن، عمان ،1987، ج3.

- آل طعمة ، محمد حسن الكليدار:

9- مدينة الحسين ، ج 1.

- احمد ، ابي العباس :

10- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، ، بدون تاريخ.

- ابن الإخوة :

11- معالم القربة.

- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر:

12- فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية ، لبنان، بيروت،1403هـ.

13- فتوح البلدان ، صلاح الدين المنجد ، القاهرة، 1957.

- الجوهري ، أبو منصور إسماعيل بن حماد :

14- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، القاهرة ، 1956م ، ج5.

- الجوزي ، ابي الفرج جمال الدين :

15- المدهش ، تحقيق مروان قباني ، ط2، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، 1985.
- جعفر، زين العابدين موسى :
16- الحمامات التراثية في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد، 1995.
- الحموي :
17- معجم البلدان ،ج1.
- الرازي ، محمد بن ابي بكر :
18- مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، بيروت ، 1995.
19- مختار الصحاح ، الكويت ، دار الرسالة، 1982م .
- الشناوي ، احمد وآخرون :
20- دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الحمام ، مترجم ، م8.
- الشيرزي :
21- نهاية الرتبة في طلب الحسبة .
- الطمار ، محمد بن عمرو:
22- تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1984 .
- عطا الله ، دهينة :
23- الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982.
- عثمان ، محمد عبد الستار :
24- المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، الكويت، 1988.
- فخر الدين ، سميرة :
25- حمام غرناطة، موقع تاريخ الأندلس، بتاريخ 31 يوليو 2015م.
- الفيلالي، عبد العزيز:
26- تلمسان في العهد الزياني ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر، الرغاية ، ج1.
- القزويني، إبراهيم شمس الدين :
27- البيوتات العلوية في كربلاء ،ج 1 .
- القلقشندي ، احمد بن علي :
28- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تحقيق يوسف علي ، ط1، دار الفكر ، سوريا، دمشق ،1987، ج1.
- القنوجي ، صديق :
29- أبجد العلوم،ج2 .
- كونل، ارنست:
30- الفن الإسلامي، بيروت ، 1966م.
- المقريزي ، احمد بن محمد التلمساني :
31- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، لبنان، بيروت ،1968،ج2.
- المقدسي ، محمد بن أحمد:
32- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، دمشق، 1980م،ج1.
- مصطفى، شاكر:
33- المدن في الإسلام ،ج2.
- نعيسة ، يوسف جميل:
34- مجتمع مدينة دمشق، دار طلاس, دمشق, 1986، ج1.
- الناصري ، ابو العباس احمد :

35- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،ط1، دار الكتاب، المغرب، الدار البيضاء ،1997.

- ناجي ،عبد الجبار :

36- دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية.

- وجدي، محمد فريد :

37- دائرة المعارف القرن العشرين ، ط3 ، بيروت، دار المعرفة،1971، م3.

المجلات والدوريات

- الأنصاري، رؤوف محمد علي:

38- "الحمامات الإسلامية في العراق" ، صحيفة الحياة ، العدد 12489 ، 1997م .

- البكري ، عادل :

39- "الشروط الصحية للحمامات في العصر العباسي" ، ندوة الحمامات في المدينة العربية الإسلامية ، مركز إحياء التراث ، بغداد، 1990 .

- السمكري ، زينب صادق علي :

40- مجلة سومر ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، مجلد 44، العراق، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام ،1985-1986م ، جزء 1 ، 2.

- صادق ، صبيح:

41- "لمسات فنية معمارية معاصرة لبعث أقدم حمام أندلسي"، جريدة الشرق الأوسط، الخميس 27 ذو الحجة 1432هـ / 24 نوفمبر 2011م العدد (12049).

- طعمة، سلمان هادي :

42- " الحمامات الشعبية في كربلاء" ، مجلة التراث الشعبي البغدادية ، عدد12، بغداد، 1972م .

- عثمان ، محمد عبد الستار :

43- فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني (دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات في صعيد مصر) ، اعمال المؤتمر العالمي الرابع لمكونة الاثار العثمانية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي ،اب ،2001.

44- الكشاف الأثري في العراق، وزارة الثقافة والإعلام .

45- محمود ، عادل :

46- جريدة الشرق الأوسط، ، 2008/2/9،العدد9935.

47- محمد ،غازي رجب :

48- الحمامات في العصر الإسلامي "نظرة خاصة إلى حمامات اليمن " ندوة الحمامات في المدينة المنورة الإسلامية ، مركز إحياء التراث ،1990.

49- مجلة لغة العرب البغدادية ، عدد5 ،1972م.

المصادر الأجنبية

1- G.L.Bell:Amurath to amurath,p.147-15:K.A.Creswell:Early Muslim architecture,vol.11.

ملحق الاشكال

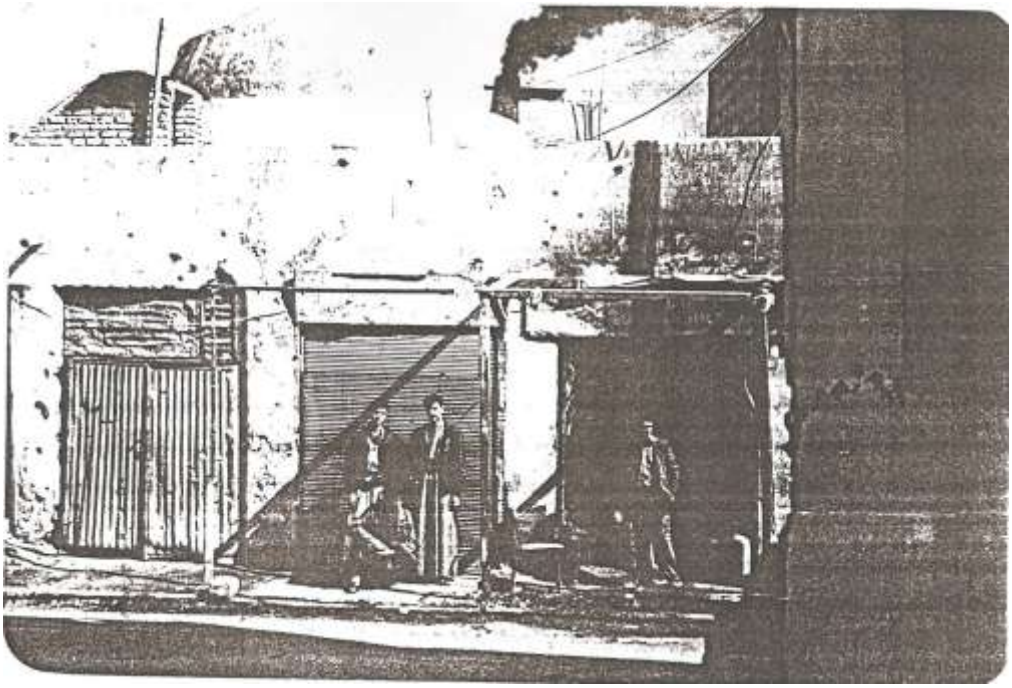

شكل(1) حمام السيد سعيد الشروفي

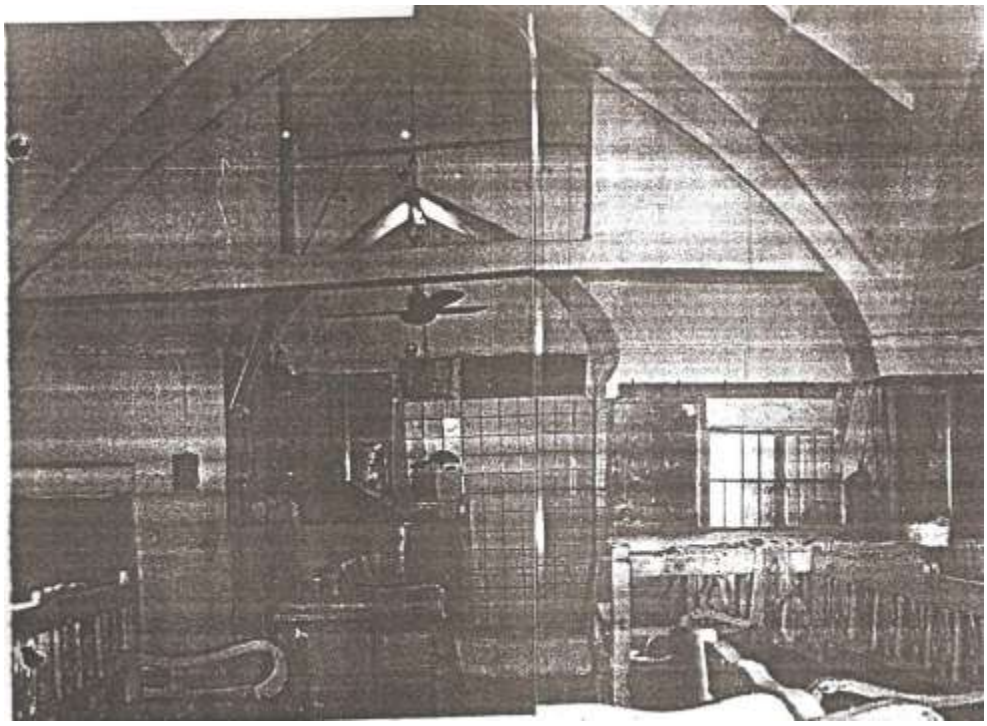

شكل (2) حمام السيد سعيد الشروفي

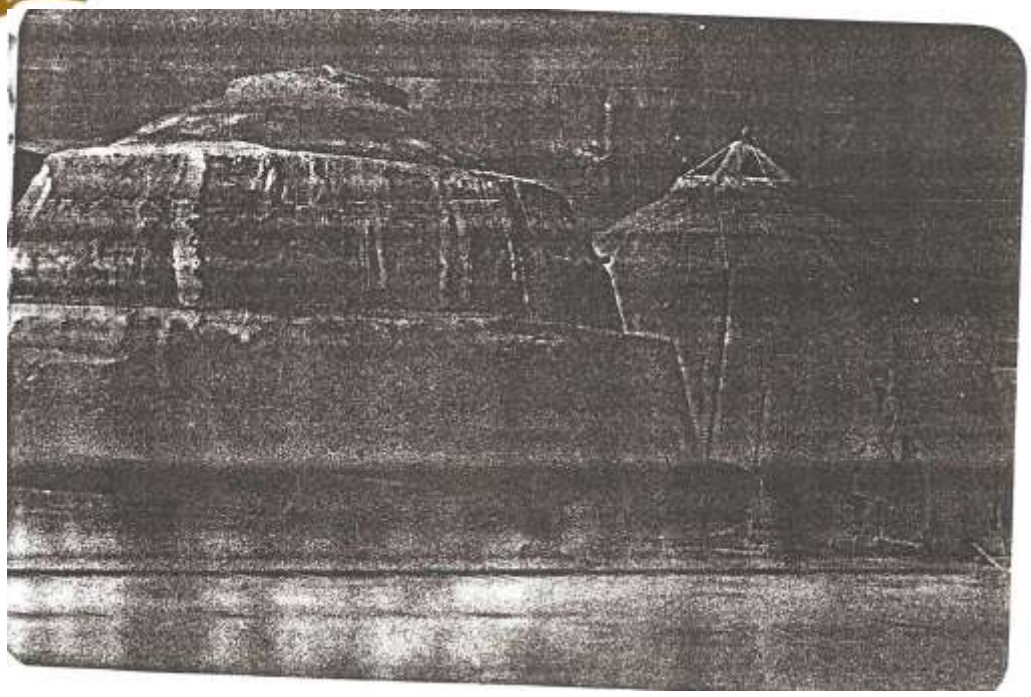

شكل (3) حمام السيد سعيد الشروفي

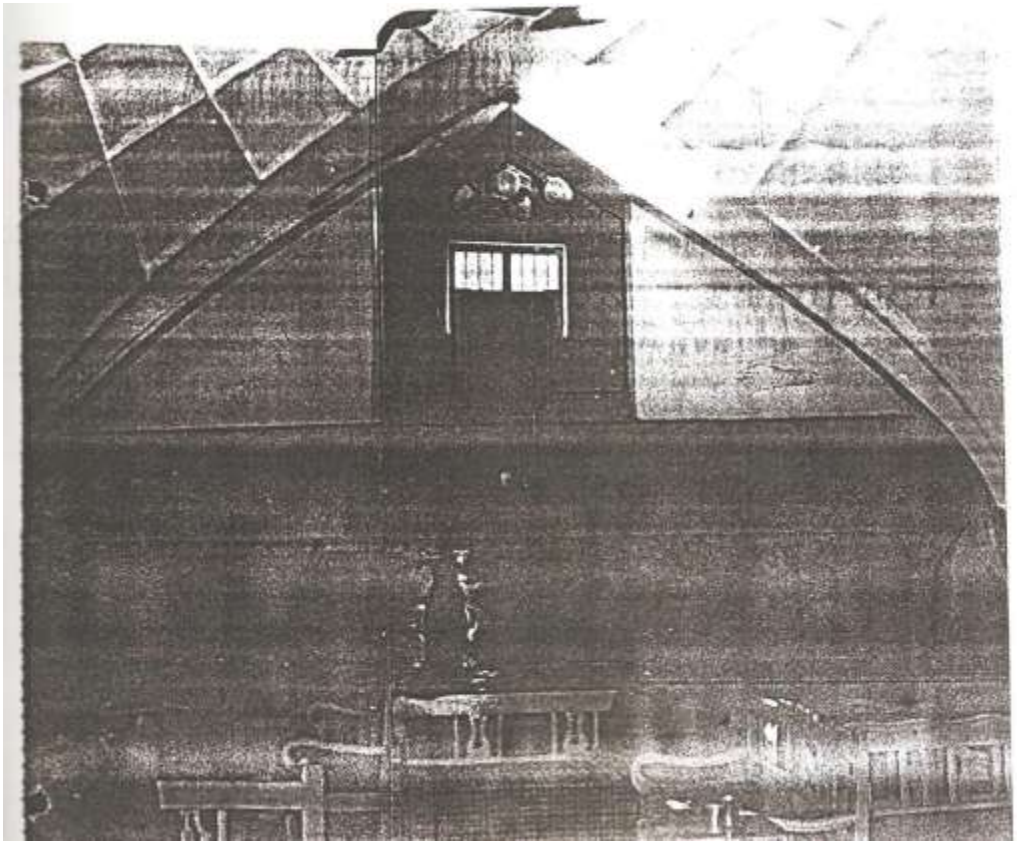

شكل (4) حمام السيد سعيد الشروفي

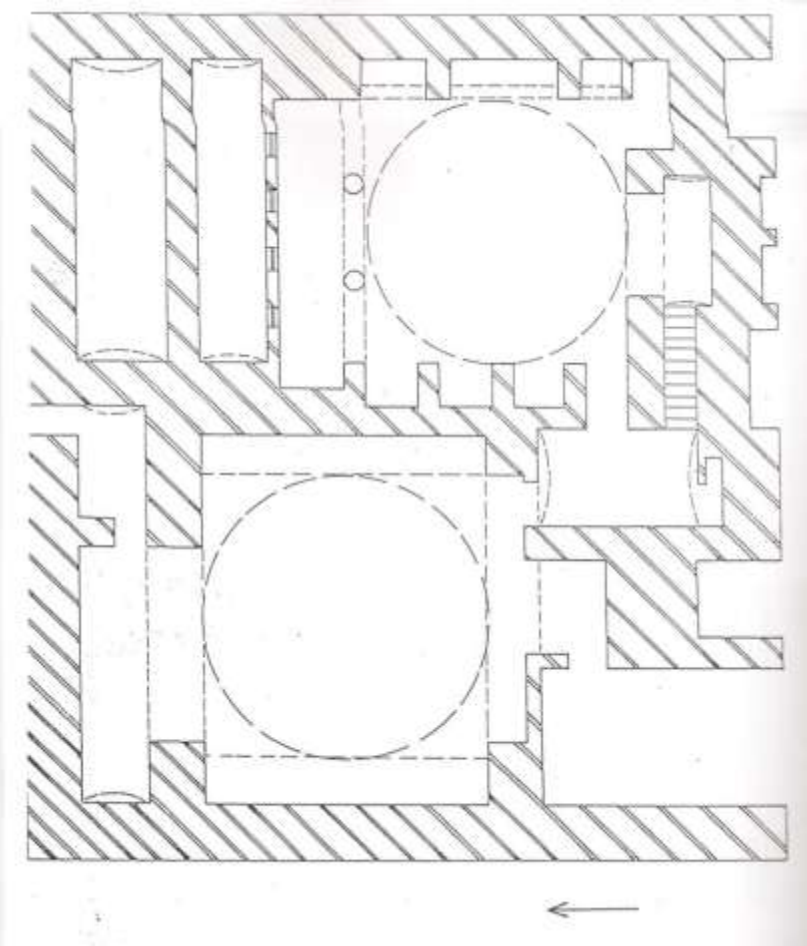

مخطط (1) مخطط ارضي لحمام سعيد الشروفي

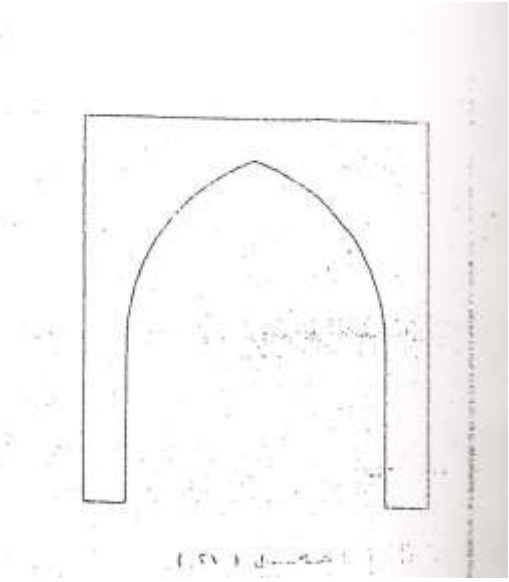

مخطط (2)